الفصل الثامن

الكويت

تقع الكويت في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي على هيئة مثلث، ضلعه الشمالي عند حدود العراق، وضلعه الجنوبي على مشارف المملكة العربية السعودية، وضلعه الثالث الشرقي على شاطئ الخليج العربي. ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ كيلومتراً وعرضها من الشرق إلى الغرب ٣٨ كيلومتراً ومساحتها ١٥٠٠٠كم٢، وعدد سكانها حوالي مليونين ونصف، وأرضها صحراوية قارية المناخ ترتفع درجة الحرارة فيها صيفاً إلى ٤٨° درجة مئوية في الظل أثناء النهار، ولا تهطل فيها أمطار إلا نادراً وتفتقر إلى الينابيع، ويقع على طول الساحل عدد من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة بوبيان، وهي أكبرها ولكنها غير مسكونة، وجزيرة فيلكا التي يسكنها عدد قليل[1].

ولم يكن اسم الكويت معروفاً قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فقد كانت منطقة الكويت تحمل اسم القرين بسبب وقوعها على خليج الكويت الذي يشبه القرن، أما كلمة (كويت الحالية) فهي تصغير لكلمة كوت، والكوت عبارة عن حصن صغير كان موجوداً فيها، وبناه محمد بن عريعر زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على تلك المناطق فأقام فيها بعض أتباعه، واتخذوا منه مستودعاً للزاد والذخيرة، وما يحتاجون إليه، فإذا أرادوا الغزو شمالاً أو المرعى قريباً من ذلك الحصن

(١) عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث، ص٢٤٤-٢٤٥ .

تزودوا بما يريدون، إذن فالكويت نسبة إلى الكوت، وذلك بعد هجرة آل الصباح إليها[1].

والواقع أن استقرار الحكم لآل الصباح في الكويت قد مر بمراحل عدة، فقد هاجر آل الصباح من نجد ومعهم آل خليفة وبعض جماعات العتوب، فوصلوا إلى الزبارة في شبه جزيرة قطر، فأقاموا فيها بعض الوقت، غير أنهم لم يلبثوا أن غادروها إثر معركة دارت عند رأس تنورة رغم أن النصر كان حليفهم، ثم واصلوا سيرهم بحراً حتى وصلوا إلى منطقة الكويت، فنزلوا بجوار كوت بني خالد، استأذنوهم في النزول فرحب بنو خالد بهم وكان ذلك عام ١١٢٩هـ (١٧١٧م). فاتفق جماعة العتوب على إدارة شؤون البلاد إدارة مشتركة، على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم، وأن يتولى آل خليفة شؤون المال والتجارة، في حين يتولى الجلاهمة شؤون العمل في البحر، فاستقل آل صباح بحكم الكويت ١١٧٠هـ (١٧٥٦م) بعد أن هجرها آل خليفة وتبعهم الجلاهمة، واختار أهل الكويت في عهدهم وازدادت أهميتها مما أدى إلى قيام نوع من العلاقات المحلية والمنافسات الدولية بشأنها[2].

وأقام آل الصباح علاقات ودية مع القوى المحلية المجاورة، فاتفقوا مع بني خالد على حسن الجوار وعدم الانضمام إلى أعدائهم مقابل استقلال آل الصباح بحكم الكويت، ولكنهم (آل صباح) ما لبثوا أن تخلصوا من هذا الارتباط واستقلوا بالكويت، أما بنو كعب (أمراء عربستان) فقد كانوا

(١) نفس المرجع.

(٢) د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي، ط، الكويت ١٩٨٤، ص١٠٤.

يسيطرون على الخليج ويفرضون الضرائب على سكان المنطقة، ولكن آل صباح رفضوا أن يدفعوا هذه الرسوم، فجرت معركة بحرية بين الطرفين في موقعة الرقة وانتصر فيها الكويتيون بقيادة الشيخ عبد الله الأول الصباح ١١٧٦-١٢٢٩هـ (١٧٦٢-١٨١٧م)، وتابع الكويتيون حروبهم مع بني كعب في عهد الشيخ جابر الأول الملقب بجابر العيش، ١٢٢٩-١٢٧٦هـ (١٨١٧-١٨٥٩م) وأحرزوا انتصارات كثيرة مكنتهم من توطيد نفوذهم في البلاد، وساعد آل صباح أبناء عمومتهم من آل خليفة حينما استولوا على البحرين[١].

ونمت الكويت بسرعة وازداد عدد سكانها، وأصبح لها أسطول تجاري عدته ثمانمائة مركب شراعي، كما ازدادت أهميتها التجارية بعد سقوط البصرة، وتعرضت الكويت أواخر عهد عبد الله لخطر الوهابيين، وتدخل الإنكليز لمنع الجيش المصري من التمركز في الكويت عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) فاكتفوا بإرسال مندوب سياسي إليها، وفي عهد الشيخ جابر الأول توطدت علاقة الكويت مع العثمانيين، وقدم لهم مساعدات عسكرية، وذلك بسبب الهجمات الوهابية على الكويت، ولم يحدث ما يستحق الذكر في عهد صباح ١٢٧٦-١٢٨٤هـ (١٨٥٩-١٨٦٦م) سوى تأزم العلاقات بينه وبين عبد الله بن فيصل آل سعود.

وازداد النفوذ العثماني في عهد عبد الله الثاني بن صباح بن جابر ١٢٩٣-١٣٠٩هـ (١٨٧٥-١٨٩١م)، فقد اتبع عبد الله سياسة موالية للعثمانيين فعينه مدحت باشا قائمقام (أي متصرفاً) على الكويت مرتبطاً

(١) المرجع السابق.

بولاية البصرة. وقدم الشيخ عبد الله مساعدة عسكرية للحملة العثمانية التي أرسلها مدحت باشا لاحتلال الأحساء. وخلفه في الحكم أخوه محمد ١٣٠٩-١٣١٣هـ (١٨٩١-١٨٩٥م) الذي كان كأخيه موالياً للعثمانيين وأشرك محمد أخاه جراحاً في الحكم، فأغضب بذلك الأخ الثالث مباركاً. واعترفت الحكومة البريطانية في عهده في عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) بتبعية الكويت للعثمانيين[١].

استولى مبارك على الحكم ١٣١٣هـ (١٨٩٥) بعد أن قتل أخويه محمداً وجراحاً، وعمل على النهوض بالكويت فزاد من عمرانها، فاتسعت مساحتها، وكثرت منازلها، وتقدمت تجارتها، وزادت ثروتها بفضل الاهتمام بحرفة الغوص، واستتب الأمن والنظام في عهده، وأسس أول مدرسة نظامية حملت اسمه (المدرسة المباركية) ولا تزال قائمة حتى اليوم.

ومنذ تولي مبارك الحكم ساءت علاقته بالدولة العثمانية وبخاصة بعد أن فر يوسف آل إبراهيم وأولاد محمد وجراح إلى البصرة، واستنجدوا بوالي البصرة ضد مبارك معترضين على الطريقة التي استولى بها مبارك على الحكم، غير أن الدولة العثمانية اضطرت للاعتراف به حاكماً على الكويت، ولجأ يوسف إلى قاسم بن ثاني شيخ قطر، فاستعان مبارك بمتصرف الأحساء واستنجد يوسف بابن الرشيد فهزم ابن الرشيد مباركاً في معركة (الصريف) ١٣١٨هـ (١٩٠٠م). وكان الأمير عبد الرحمن بن سعود وابنه عبد العزيز قد لجآ إلى الكويت فراراً من ابن الرشيد. فساعد مبارك آل سعود ضد ابن

(١) أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت، ص٩٨ .

الرشيد فتمكن عبد العزيز آل سعود من احتلال الرياض ١٣١٩هـ (١٩٠١م) واستراح مبارك بعد أن تخلص من أعدائه إثر وفاة خصمه يوسف آل إبراهيم وابن الرشيد[١].

ولكن علاقاته مع الدولة العثمانية ظلت متوترة، فقد رفض السماح للعثمانيين بتعيين مشرف عثماني لميناء الكويت وإيفاد موظف للحجر الصحي، وإقامة دار عوائد فيها، ووجود قوات عثمانية في الكويت، فوجهت الحكومة العثمانية إنذاراً إلى الشيخ مبارك طلبت فيه أن يتخلى عن بريطانيا، وعرضت عليه عضوية مجلس الشورى في إستانبول أو الإقامة في أي مكان والتخلي عن مشيخة الكويت على أن تدفع له مرتباً كبيراً، واستنجد مبارك بالإنكليز الذين أيدوه وعقد معهم معاهدة ١٣١٦هـ (١٨٩٩م) تعهد فيه بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية.

والواقع أن محاولات بريطانيا ومساعيها المستمرة قد كللت بالنجاح، فقد حاولت بريطانيا مراراً قبل عهد الشيخ مبارك أن تعقد معاهدة ولكن محاولاتها باءت بالفشل، إلا أنها نجحت مع الشيخ مبارك الذي تعهد بجعل سياسته الخارجية مرتبطة ببريطانيا، كما ألزم نفسه وورثته من بعده بألا يتنازل أو يؤجر أو يبيع أو يرهن أي جزء من أراضيه إلى حكومة أخرى دون موافقة بريطانيا.

ويمكن تفسير هذه الاتفاقية (المعاهدة) على أنها التزام من جانب واحد هو الكويت، وليس فيه التزام من جانب بريطانيا، وقد حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية على امتيازات مختلفة منها حظر استيراد الأسلحة إلى

(١) د. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة ١٩٩٢، ص٢٢٩.

الكويت أو تصديرها، وإقامة مكتب بريد إنكليزي وإقامة لاسلكي واتفاق حول النفط[١].

ووقف الشيخ مبارك إثر ذلك موقفاً حازماً من العثمانيين. فلم يرحب بالبعثة الألمانية التي وصلت إلى الكويت عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) برئاسة القنصل الألماني في بغداد لدراسة خط حديد برلين بغداد، وانتقم منه العثمانيون بمصادرة أملاكه في البصرة، وسويت علاقاته بالعثمانيين الذين تخلوا عن الكويت واعترفوا بالأمر الواقع، وأعادوا إليه أملاكه في البصرة، وحاول مبارك بدوره مجاملة العثمانيين فتبرع لضحايا حريق إستانبول عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م)، كما تبرع لحرب طرابلس، فمنحه السلطان العثماني الوسام المجيدي، وتنازل العثمانيون عن الكويت عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) واعترفوا بمركز بريطانيا الممتاز فيها، كذلك اعترف ابن سعود بالوضع الجديد في الكويت، وأيد مبارك الحملة البريطانية ضد البصرة أثناء الحرب العالمية الأولى، فتعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلاله تحت الحماية البريطانية[٢].

وفي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) توفي الشيخ مبارك، وخلفه في الحكم ابنه جابر الذي حكم سنتين فقط والذي خفض الرسوم على تجارة اللؤلؤ وأعفى الناس من ضريبة العقارات، وفي عهده عقد مؤتمر الكويت لحكام الخليج لدعم ثورة الشريف حسين. خلفه في الحكم أخوه سالم الذي عمل على تنمية التجارة في عهده فخفض الرسوم الجمركية على الواردات إلى

(١) فؤاد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي، جـ٢، ص١١٠ .

(٢) . بدر الدين عباس الخصوصي، تاريخ الخليج، جـ٢، ص٨٥-١١٠ .

٤٪، وألغى جميع الرسوم عن الصادرات، وربط الكويت بالعالم الخارجي عن طريق محطة البرق. وأقيم في عهده سور الكويت لحمايتها من الأعداء. أما سياسته الخارجية فقد تميزت بالتوتر مع بريطانيا والسعوديين، فقد رفض محاولات بريطانيا فرض حصار على بلاده لمنع تصدير الأسلحة للعثمانيين في بلاد الشام، ولكنه اضطر تحت التهديد الانكليزي إلى وضع لجنة مراقبة إنكليزية في ميناء الكويت إبان فترة الحرب. أما علاقته مع السعوديين فقد ساءت بسبب مسألة الحدود بين البلدين، وجرت معركة (حمض) ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) جنوبي الكويت هزم فيها الكويتيون واضطروا إلى بناء السور، كما وقعت معركة (الجهراء) ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) والتي كاد يسيطر فيها السعوديون بقيادة فيصل الدويش لولا تدخل بريطانيا، وظلت العلاقات سيئة، على أن أهل الخير حاولوا إصلاح ذات البين بين السعوديين والكويتيين إلا أن القدر لم يمهل الشيخ سالماً ليرى نتيجة الصلح[١].

تولى الشيخ أحمد الجابر ١٣٤١-١٣٧٠هـ (١٩٢٢-١٩٥٠م) الحكم عقب وفاة عمه الشيخ سالم، وقد شهدت البلاد نهضة في عهده، فقد شكل مجلس الشورى، ومجلس البلدية، والمعارف، والمجلس التشريعي، استجابة لرغبات المواطنين بالاشتراك بالحكم، إلا أن هذه التجربة فشلت لأن الشيخ أحمد الجابر لم يرد لها النجاح بسبب الخلاف بين الحكومة والمجالس. وقد عني كذلك بتشجيع الحركة العلمية والأدبية والفكرية في الكويت، كما أسست في عهده الدوائر الحكومية، وتدفق النفط في عهده بكميات تجارية صارت تصدر منذ عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، ونجح الشيخ

(١) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، جـ٤، ص٣٩٣-٣٩٩.

أحمد الجابر في حل مشكلاته مع السعوديين وبخاصة مسألة الحدود المسابلة (التجارة)، فقد نجحت بريطانيا في حل هذه المشكلات بعد عقد مؤتمر العقبة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) لحل مشكلة الحدود، وتوطدت علاقته مع السعودية ومع البلاد العربية الأخرى[١].

ثم خلفه في الحكم ابن عمه الشيخ عبد الله السالم الصباح ١٣٧٠-١٣٨٥هـ (١٩٥٠-١٩٦٥م)، وقد عمل الشيخ عبد الله على توجيه ثروة البلاد وطاقاتها وإمكاناتها لتطوير الكويت في نظم الحكم والإدارة والنهوض بها في جميع الشؤون العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وفي عهده استقلت الكويت في عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م) ودخلت الجامعة العربية، وهيئة الأمم، وفي المجال الداخلي وجد بالكويت الدستور والمجلس النيابي، وتشكلت حكومة من ١٤ وزيراً، كما تقدمت الحالة العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية في عهده. وفي المجال الخارجي أسهمت الكويت في نصرة القضايا العربية وبخاصة قضية فلسطين من بلاد الشام، كما أسهمت في تقديم العون المادي للدول العربية، وتطورت الكويت في عهده تطوراً كبيراً فاق كل التصورات[٢].

وتابعت الكويت مسيرتها الحضارية في عهد كل من الشيخ صباح السالم الصباح ١٣٨٥-١٣٩٨هـ (١٩٦٥-١٩٧٨م) وحاكمها الحالي الشيخ جابر الأحمد الجابر، فقد شهد عهد الشيخ صباح افتتاح جامعة الكويت، وازدياد المدارس، والمعاهد العليا الفنية، كما تقدمت جميع الخدمات

(١) المرجع السابق.

(٢) عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت ١٩٦١، ص٩٥-١١٥.

الصحية والاجتماعية، واشتركت الكويت في مؤتمرات القمة العربية، والمؤتمرات الإسلامية، والمؤتمرات الدولية، وما زالت الكويت تنمو وتتطور في عهد حاكمها الحالي الشيخ جابر الأحمد الجابر.

وقد حاول الاتحاد العربي الذي تألف من العراق والأردن ضم الكويت إليه على أنها جزء من العراق، ثم حاول عبد الكريم قاسم ذلك عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م)، ثم احتلها بعدئذ صدام حسين عام ١٤١١هـ في ٢ من أغسطس(١٩٩٠م) فكان ذلك سبباً في حرب الخليج، فتشتت شمل المسلمين، وذهبت ريحهم، وأُجبر صدام حسين حاكم العراق على الانسحاب من الكويت[١]. واستعادت الكويت عافيتها واستقرارها وازدهارها بعد عام ١٩٩١م.

(١) محمود شاكر، تاريخ العراق، ص٣٥٥-٣٧٠.